

الكتب والمكتبات فى

العصور الوسطى

الشرق المسلم ■ الشرق الأقصى

الدار المصرية اللبنانية

16 عبد الخالق شروت. ص. ب. 2022 برفقيا دار شادو. القاهرة. ت. 3923525 - 3936743. فاكس. 3909618

التراقيم الدولي 70 - 329 - 270 - 977

رقم الإينام: 1997 / 3692

طبع: الهدنات ت: 4827851

تجهيزات فنية: الألسواء ت: 3143632

جميع حقوق الطبع والنشر محفوظة

الطبعة الثانية: شوال 1421 هـ يناير 2001 م

الطبعة الأولى: محرم 1418 هـ مايو 1997 م

مجموعة البليوجرافيا التاريخية

الكتب والمكتبات في العصور الوسطى

الشرق المسلم ■ الشرق الأقصى

تأليف

الدكتور شعبان عبد العزيز خليفة

الناشر
دار المصطفى للنشر

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

إهداء

* إلى الزهرة التي تفتحت فى حياتى
فعطرتها بأريجها الفواح.

* إلى الشعلة التى أضاءت حياتى
بنورها الوهاج.

* إلى ولى سرف سعبان خلفة

الذى عشق الكتب والقراءة منذ نعومة أظفاره.

* لقد آثرت أن أقدم لك باقة من الورد
فى سلة قديمة.

على أن أقدم لك باقة من العشب
فى سلة جديدة.



والله. والله. والله. لن
يقفهم الحاسب الإلكتروني
وملفاته الآلية، ولن تفهم
أقراص الليزر إلا على
ضوء لفافة البرق
وكراس الرق.

شعبان خليفة

مقدمة

إنتهينا فى كتابنا الأول: الكتب والمكتبات فى العصور القديمة إلى اعتناق التقسيم العام للعصور إلى قديمة ووسطى وحديثة، أساساً لمعالجة موضوعنا الكتب والمكتبات. والعصور القديمة كما حددناها هناك تبدأ منذ ظهور الإنسان العاقل على الأرض ولأغراض البليوجرافيا التاريخية تبدأ العصور القديمة منذ إختراع الكتابة حيث أنها الأصل فى ظهور الكتاب ومن ثم المكتبات، وتنتهى مع القرن الخامس الميلادى، حين سقطت الامبراطورية الرومانية ودخلت فى ظلام العصور الوسطى الأوربية. وقلنا فى تبرير ذلك أن البشرية لا تنتقل من عصر إلى عصر بين يوم وليلة أو بين سنة وأخرى بل يكون الانتقال تدريجياً يحتاج على الأقل إلى ربع قرن.

ومن هذا المنطلق فإن العصور الوسطى تبدأ مع القرن السادس الميلادى وتنتهى كما ذهبنا هناك مع القرن الخامس عشر الميلادى؛ ومن ثم فإنها تشغل تسعة قرون كاملة. والأوروبيون يقسمون عصورهم الوسطى إلى عصور وسطى باكراً وعصور وسطى متأخرة: الوسطى الباكراً تمتد من القرن السادس حتى القرن الثانى عشر، وتتسم تلك الفترة فى أوروبا بالتخلف العام فى جميع نواحي الحياة حتى أنها وصفت بالعصور الوسطى المظلمة، ومن هنا لم يكن فيها نهضة فكرية أو إنسانية عامة. أما العصور الوسطى المتأخرة فإنها تمتد من القرن الثالث عشر وحتى نهاية الخامس عشر على مدى ثلاثة قرون كاملة. وتعتبر هذه القرون الثلاثة برمتها مقدمة للنهضة الأوربية الشاملة وإرهاصات لها.

أما بالنسبة للمسلمين فإن العصور الوسطى يجب أن تنقسم إلى عصور
وسطى إسلامية وعصور وسطى مسيحية؛ وحيث يعتبر القرن السابع الميلادي
كله إرهاباً للنهضة الإسلامية الشاملة التي يمكن اعتبارها قد تبلورت في القرن
الثامن الميلادي، وامتدت على مدى سبعة قرون ولفظت أنفاسها وبثت روحها
في النهضة الأوربية في نهاية العصور الوسطى الأوربية المتأخرة.

ونظراً لأن الشرق الأقصى (الصين واليابان وكوريا) له تقسيماته التاريخية
الخاصة فإننا لا نستطيع أن ندخله في الإطار العام للعصور التاريخية حسب
تقسيمنا لها حتى يمكن معالجة الكتب والمكتبات في تلك المنطقة التي غالباً ما
تفلت من شبكة التأريخ الجغرافي رغم دورها الفعال في هذا المضمار. كما
أن تلك المنطقة لم تخرج عن عزلتها التي فرضتها على نفسها إلا في نهاية
القرن التاسع عشر بالنسبة لليابان وكوريا، والنصف الثاني من القرن العشرين
بالنسبة للصين. ولذلك سوف نعالج الكتب والمكتبات في الشرق الأقصى على
مدى التاريخ هنا في هذه الحلقة.

وسوف نعالج في هذه الحلقة الثانية الكتب والمكتبات عند المسلمين ثم في
الشرق الأقصى ثم أوروبا ثم عند البيزنطيين في العصور الوسطى. ونظراً
لضخامة المادة العلمية فسوف نوزعها على مجلدين. يدور أولهما حول الكتب
والمكتبات عند المسلمين، والكتب والمكتبات في الشرق الأقصى. ويدور الثاني
حول الكتب والمكتبات في أوروبا والدولة البيزنطية.

والله من وراء القصد،

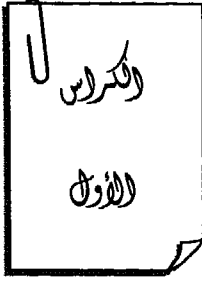
شعبان عبد العزيز خليفة

الجيزة في ١٩٩٧



الباب الأول

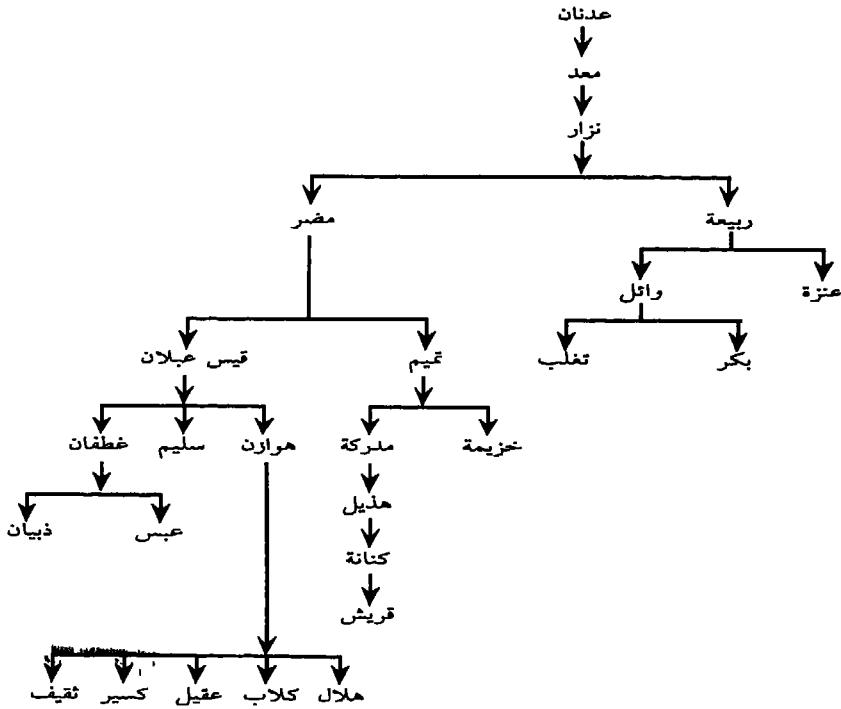
الكتاب الإسلامي



الأرض التي نبت فيها الكتاب الإسلامي

كلمة عربي هي كلمة آرامية (آرابي) معناها ساكن الصحراء . وقد أطلقها الآراميون على سكان الصحراء الذين عاشوا في الجنوب منهم . ومن ثم نسب المكان واللغة والكتابة وغير ذلك إلى هذه الكلمة فقبل جزيرة العرب واللغة العربية والخط العربي وما إلى ذلك . إذن فالتسمية أتتهم من الخارج ، من شمالهم وليس من داخلهم .

وينتمي عرب الشمال إلى إسماعيل بن إبراهيم عليهما السلام وقد انحدرت منه القبائل العربية الشمالية على النحو الآتي :



العرب المستعربة (عرب الشمال)

وقد أطلق على الفترة التي عاشها عرب الشمال قبل الإسلام إسم «الجاهلية». ذلك أنه لم يكن للعرب في تلك الفترة علم ولا أدب ولا فن مكتوب، وكانت الأشعار والأخبار يتم تداولها وتناقلها شفاهة عن طريق التواتر رغم أنهم قد عرفوا الكتابة - كما سنرى تفصيلاً فيما بعد - بفترة طويلة قبل الإسلام. وكانت حضارتهم بدوية وعيشتهم بسيطة تتسم أساساً بالترحل وراء الكلاً. وكان ارتباط العربي بالقبيلة هو أساس تكوينه النفسى والعاطفى. وكان الصبر والحزم وحب الحرية والكرم وحسن الضيافة والشجاعة والثأر من أهم صفات العربي فى تلك الفترة.

ورغم أنهم كما رأينا كانوا من سلالة سيدنا إبراهيم وإسماعيل إلا أن ديانتهم على وجه العموم كانت الشرك وعبادة الأصنام ولهم الكهنة والكاهنات والسدنة خدمة الهيكل وكانوا يعتقدون فى القيافة والعرافة والعرافين ويعتقدون فى الجن. وقد دان بعضهم باليهودية فى الحجاز خاصة. كما كان للنصرانية نوع من الإنتشار سواء بين البدو أو الحضرة وخاصة فى جنوبى الجزيرة وعلى حدود العراق والشام (الغساسنة). وينتمى هؤلاء النصارى إلى الكنيسة السريانية المونوفيزية فى الشمال، وإلى النسطورية فى الشمال الشرقى وإلى نصرانية الحبشة المشوبة باليهودية فى الجنوب والغرب.

ولم تكن هناك فى الشمال دول بل كان عرب الجاهلية عبارة عن قبائل متحالفة أحياناً، ويغير بعضها على بعض أحياناً أخرى وتتحارب لأتفه الأسباب. وقد تكونت فى الشمال دولتان حضريتان إستقرت إحداهما على حدود الفرس (المناذرة) وكانوا حلفاء لهم. واستقرت الثانية على حدود البيزنطيين (الغساسنة) وكانوا حلفاء لهم.

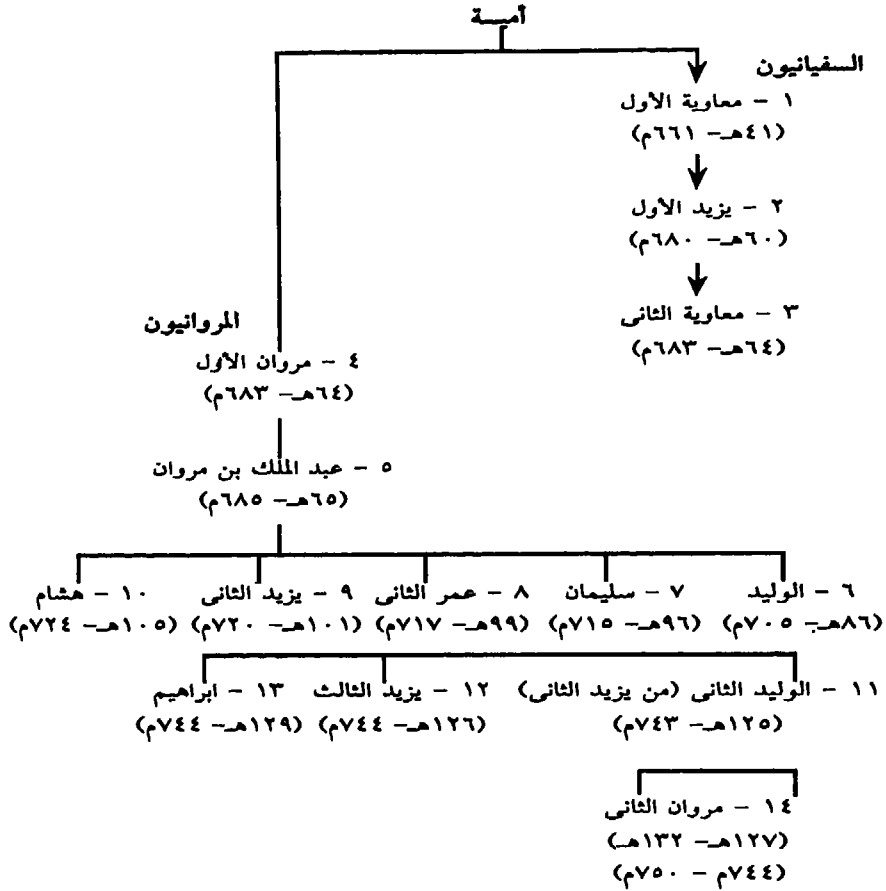
كان الشعر أهم مظاهر الفكر عندهم. وقد انقسم الشعراء إلى فئات منهم الشعراء الصعاليك. وكان من بينهم الشنفرى؛ تأبط شراً؛ عروة بن الورد؛ ومنهم شعراء المعلقات وعلى رأسهم امرؤ القيس؛ طرفة بن العبد؛ زهير بن أبى سلمى؛ لييد بن ربيعة؛ عمرو بن كلثوم؛ الحارث بن حلزة؛ عنترة بن شداد. وكان هناك شعراء البلاط: علقمة الفحل؛ التلمس؛ المثقب العبدى؛

النايعة الذبياني؛ الأعشى الأكبر؛ عدى بن زيد؛ أبو أذينة. وكان هناك كذلك الشعراء الفرسان: المهلهل؛ عبد يغوث؛ الحصين بن الحُمام؛ عامر بن الطفيل؛ حاتم الطائي؛ عمرو بن معدى كرب؛ دريد بن الصمة؛ عبيد بن الأبرص؛ السموأل؛ الأسود بن يعفر؛ كعب بن سعد؛ أمية بن أبى الصلت.

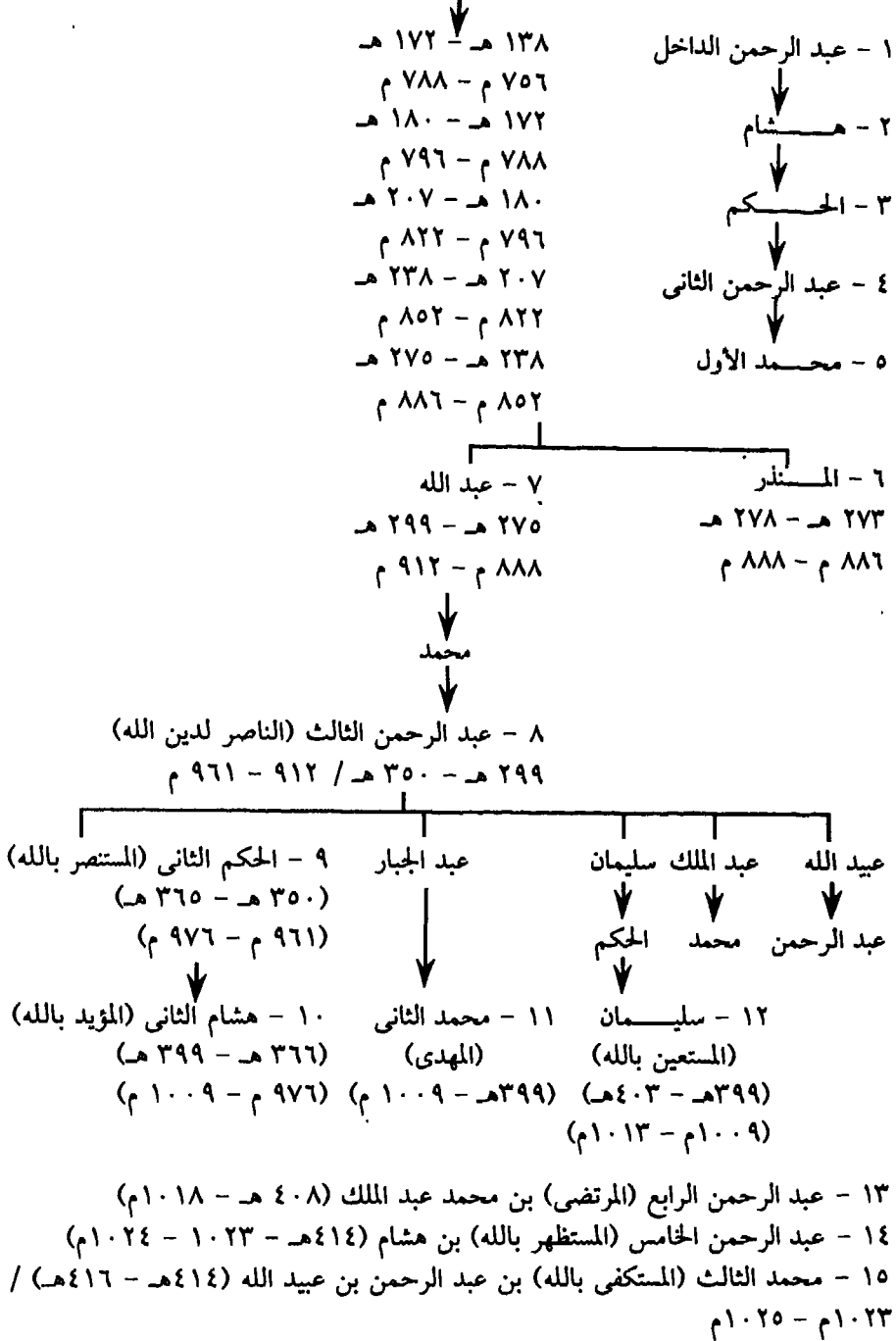
وقد ولد رسول الله ﷺ ٥٧٠/٥٧١ م فى عام الفيل. وتوفى ٦٣٢ م وجاء بعده الخلفاء الراشدون: أبو بكر وعمر وعثمان وعلي (١١هـ - ٤٠هـ / ٦٣٢ - ٦٦١)، رضى الله عنهم.

ويمثل الجدول الآتى فترة الدولة الأموية (٤٠هـ - ١٣٢هـ / ٦٦١ - ٧٥٠م).

الأمويون فى الشام والأندلس



الأمويون في الأندلس



١٦ - هشام الثالث (المعتد بالله) بن عبد الرحمن الرابع بن محمد بن عبد الملك (٤٢٠هـ - ٤٢٢هـ) / ١٠٢٩م - ١٠٣١م.

وبعد ذلك جاء ملوك الطوائف (١٠٣١ - ١٠٨٦) ثم المرابطون (١٠٨٦ - ١١٤٧م) ثم الموحدون (١١٤٧ - ١٢٣٥) ثم بنو نصر (١٢٣٥ - ١٤٩٢م).
أما الدولة العباسية التي قامت على أنقاض الدولة الأموية في المشرق فإن خلفاءها يمكن تسجيلهم على النحو الآتي :-

١٣٦هـ / ٧٥٤م	٢ - المنصور	١٣٢هـ / ٧٥٠م	١ - السفاح
١٦٩هـ / ٧٨٥م	٤ - الهادي	١٥٨هـ / ٧٧٥م	٣ - المهدي
١٩٣هـ / ٨٠٩م	٦ - الأمين	١٧٠هـ / ٧٨٦م	٥ - هارون الرشيد
٢١٨هـ / ٨٣٣م	٨ - المعتصم	١٩٨هـ / ٨١٣م	٧ - المأمون
٢٣٢هـ / ٨٤٧م	١٠ - المتوكل	٢٢٧هـ / ٨٤٢م	٩ - الواثق
٢٤٨هـ / ٨٦٢م	١٢ - المستعين	٢٤٧هـ / ٨٦١م	١١ - المتنصر
٢٥٥هـ / ٨٦٩م	١٤ - المهتدي	٢٥٢هـ / ٨٦٦م	١٣ - المعتز
٢٧٩هـ / ٨٩٢م	١٦ - المعتضد	٢٥٦هـ / ٨٧٠م	١٥ - المعتمد
٢٩٥هـ / ٩٠٨م	١٨ - المقتدر	٢٨٩هـ / ٩٠٢م	١٧ - المكتفي
٣٢٢هـ / ٩٤٣م	٢٠ - الراضي	٣٢٠هـ / ٩٣٢م	١٩ - القاهر
٣٣٣هـ / ٩٤٤م	٢٢ - المستكفي	٣٢٩هـ / ٩٤٠م	٢١ - المتقي
٣٦٣هـ / ٩٧٤م	٢٤ - الطائع	٣٣٤هـ / ٩٤٦م	٢٣ - المطيع
٤٢٢هـ / ١٠٣١م	٢٦ - القائم	٣٨١هـ / ٩٩١م	٢٥ - القادر
٤٨٧هـ / ١٠٩٤م	٢٨ - المستظهر	٤٦٧هـ / ١٠٧٥م	٢٧ - المقتدى
٥٢٩هـ / ١١٣٥م	٣٠ - الراشد	٥١٢هـ / ١١١٨م	٢٩ - المسترشد
٥٥٥هـ / ١١٦٠م	٣٢ - المستنجد	٥٣٠هـ / ١١٣٦م	٣١ - المقتفي
٥٧٥هـ / ١١٨٠م	٣٤ - الناصر	٥٦٦هـ / ١١٧٠م	٣٣ - المستضيئ
٦٢٣هـ / ١٢٢٦م	٣٦ - المستنصر	٦٢٢هـ / ١٢٢٥م	٣٥ - الظاهر
		٦٤٠ - ٦٥٦هـ	٣٧ - المستعصم
		١٢٤٢ - ١٢٥٨م	

ولتركيز الخلفية التي عملت فيها الكتب والمكتبات الإسلامية يصور الجدول
الآتي أهم الخطوط التاريخية:

١ - النبي والدعوة

مولد النبي في مكة ٥٧٠ / ٥٧١ م

زواج النبي من خديجة ٥٩٥ م

بدء الدعوة ٦١٢ م

معركة بدر ٢ هـ / ٦٢٤ م

معركة أحد ٣ هـ / ٦٢٥ م

معركة الخندق ٥ هـ / ٦٢٧ م

معركة مؤتة ٧ هـ / ٦٢٩ م

فتح مكة - معركة حنين ٨ هـ / ٦٣٠ م

حجة الوداع. وفاة النبي ١١ هـ / ٦٣٢ م

٢ - الدولة الإسلامية

أ - الخلفاء الراشدون ١١ - ٤٠ هـ (٦٣٢ - ٦٦١ م)

ب - الخلفاء الأمويون ٤٠ - ١٣٢ هـ (٦٦١ - ٧٥٠ م)

ج - الخلفاء العباسيون ١٣٢ - ٦٥٦ هـ (٧٥٠ - ١٢٥٨ م)

- العصر الذهبي ١٣٢ - ٢٣٢ هـ (٧٥٠ - ٨٤٧ م)

- الانحطاط ونشأة الدويلات ٢٣٢ هـ - ٦٥٦ هـ

والسقوط (٨٤٧ م - ١٢٥٨ م)

٣ - الأسر الحاكمة في الدويلات الإسلامية

(عربية - تركية - فارسية - هندية) القرن ١٣ - ١٦ م

* سوريا ومصر

الحمدايون (حلب) القرن العاشر الميلادي

الطولونيون (مصر) ٨٦٨ - ٩٠٥ م

الإخشيدون (مصر) ٩٣٥ - ٩٦٩ م

الفاطيون (مصر وسوريا) ٩١٠ - ١١٧١ م